مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــ ISSN 2661-7307
المجلد 08 ـ العدد 02 ـ السنة 2026 ص 97 –112 EISSN 2773-4048
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/730

دور علماء الدهاليز في تطور الأدب العربي النيجيري
(الشيخ يحي ميكائيل الغروي أنموذجا)

The Role of Scholars in the Corridors of Power in the Development of Nigerian Arabic Literature: A Case Study of Sheikh Yahya Mika'ila Al-Gharawi

محمد بابا [1*]، عبد الله رابع طلحة [2]

[1]جامعة ولاية يوبي، دماترو (نيجيريا)، muhammdbabanguru@gmail.com

[2]مركز الدراسات القرآنية جامعة ولاية يوبي دماترو "نيجيريا"، bdallahalgurawy@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/06/05 تاريخ القبول: 17/ 07/ 2026 تاريخ: النشر: 25/ 07/ 2026

الملخص:

سوف يتناول المقال دور علماء الدهاليز في تطور الأدب العربي في نيجيريا، والمقالة عبارة عن دراسة قصيدتين من قصائد الشاعر الشيخ يحي ميكائيل الغروي، لإظهار جهوده في تطور الأدب العربي النيجيري، وتتضمن الورقة في طياتها النقاط الأتية: نبذة تاريخية عن حياة الشيخ يحي ميكائيل الغروي، وبيان دوره في نشر الأدب العربي النيجيري.

الكلمات المفتاحية: يحي ميكائيل، الأدب العربي ؛ النيجيري. الدهاليز.

Abstract:

In this article, the two researchers will deal with the role of vestibular scholars in the development of Arabic literature in Nigeria, and the article is a study of two poems from the poems of the poet sheikh Yahaya Mika'il Al-ghurawy, to show his efforts in the development of Nigerian Arabic literature. And the paper includes the following points: A brief history of the life of sheikh Yahaya Mika'il Al-ghurawy and his role in spreading Nigerian Arabic literature.

***Keywords**: Yahya Mika'il, Nigerian Arabic Literature, Dahaliz Scholars, Traditional Education.*

* المؤلف المرسل

المقدمة:

وسبب كتابة هذه الوريقات، هو إظهار جهود علماء شمال نيجيريا في نشر الثقافة العربية، ومنذ أن دخل الإسلام في قارة غرب الإفريقية، قام الفحول من العلماء لتعلم اللغة بغية معرفة الأحكام الشريعة الإسلامية، وعلى طريق ذلك فهموا التذوق الفني للأشعار التي وصلت إليهم، من الشعر الجاهلي كالمعلقات، وقصائد الصحابة، من المديح النبوي، ثم بدءوا يقرضون الشعر العربي، ويعرضون أولئك الشعراء فيها، حتى أصبح لا تجد غرضا من الشعر العربي إلا تطرقه هؤلاء العلماء، وخاصة فن المديح، وأخص منه المديح النبوي، ثم الرثاء، وقد ساعد هذا الجهد في نشر الثقافة العربية في الناحية، وخاصة الشعر منه. لذا فإن هذه الورقات سوف تتطرق جهود أحد علماء الدهاليز الذين ساهموا في هذا المجال، في ولاية يوبي، الشيخ يحي ميكائيلا الغروي.

- نبذة تاريخية عن حياة الشيخ يحي ميكائيل الغروي.

هو الشيخ يحي بن ميكائيل، ولد في مدينة بابرا *Babura* الحكومة المحلية في ولاية جغاوا *Jigawa*، وهو من مواليد 1920م تقريبا،1 نشأ الشيخ يحي بن ميكائيل في مدينة بابرا، وترعرع في كفالة أبيه، وتعلم منه مبادئ العلم من القرآن الكريم، ثم أدخله المستعمرون البريطانيون المدرسة الإبتدائية *Elementary School*، فحصل على الشهادة الإبتدائية في سبع سنوات، ثم عُين موظفا في مدينة كنو *Kano* وبعد ذلك انتقل إلى بلدة رنغم *Ringim*، حيث عين ناظر للغابة *Forest Officer*، ثم انتقل إلى هطيجا *Hadejia*، وبعد حِينٍ من الوقت ترك الوظيفة، ورجع إلى مدينة أنغرو Nguru والتقى بالعلماء والشيوخ في مدينة أنغرو، منهم الشيخ الحاج لوان، تعلم منه علوم اللغة، والفقه المالكي، وتعلم من شيخه الأكبر الشيخ عثمان الفلاتي، فقد أخذ منه أكثر علومه الأدبية والدينية وأصبح إمام مسجد الشيخ بعد وفاته. وأنشأ الشيخ مركزه التعليمي، وبدأ يدرس طلابه أنواعا متعددة من العلوم الدينية والعربية، منذ أربعين سنة قبل وفاته،2 ومن الصعب حصر عدد طلابه لكثرتهم.

إنتاجاته:

وللشيخ يحي ميكائيل إنتاجات كثيرة من النثر والشعر، ولكن جلها مخطوطة، منها:

1– المقدمة لكتاب "رفع الإشتباه في التعلق بالله وبأهل الله" للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، مخطوطة، وهو نثرا.

2– القصيدة المسماة بـ"مرتع روح العاشق في روضة فضل الصادق بمدح من فتق رتق الخلق به" وهي مطرزة على حروف سورة الكوثر.

3– قصيدة دالية في مدح الرسول الأمين، وهي مطرزة على حروف سورة الإخلاص.

4– قصيدة نونية في مدح شيخه الفاضل الحاج عثمان الفلاتي.

5 - القصيدة النونية المسماة بـ"أنيسة المريدين والمحبين" في مرثية الشيخ المرحوم محمد غبريم بن غانم.

وفاته: توفي الشيخ يحي ميكائيل –رحمه الله– في شهر شعبان 1424هـ الموافق 17 أكتوبر 2003م 3

دور الشاعر الشيخ يحي ميكائيل في تطور الأدب العربي النيجيري:

ومما يظهر دور الشاعر في هذا المجال، كثرة قصائد التي قرضها في شتى الأغراض الشعرية، منها قصيدته في المديح النبوي.

مفهوم شعر المديح:

المديح لغة: جاء في كتاب القاموس لفيروز آبادي: مدحه كمنعه مدحا ومدحة: أحسن الثناء عليه، والمديح ولأُمدُحة ما يمدح به، مدائح وأمديح.4 وذكر ابن منظور في اللسان: المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء: مدحته مدحة واحدة، ومدحه ويمدحه مدحا ومَدْحة، والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح والاماديح.5 وهو ذكر للشمائل والمناقب فيقول: مدحه مدحان أثنى عليه بما له من الصفات.6 واصطلاحا: وهو ذكر المحاسن من المقابل وبدون المقابل يقول صاحب جواهر الأدب: "وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة، وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه، وبتعداد محاسنه الخلقية"7

مفهوم شعر المديح النبوي:

والمديح هو شعر الذي قام الشعراء فيه بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم الشخصية، وما وقع من أحداث تاريخية ودينية حوله، وهو من الموضوعات الأصلية وذي الأهمية في الأدب العربي، وقد اغنتم شعر المديح النبوي واد عظيم من التراث العربي الإسلامي. وهو الشعر الذي قام الشعراء فيه بتعداد صفات النبي الخلقية والخُلُقية، وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، وإظهار محبته وحب رؤيته وزيارة قبره والأماكن

المقدسة التي لها علاقة بحياته عليه، وذكر معجزاته، وبيان غزواته. ويظهر المادحون النبي تقصيرهم في آداء واجب من واجبات الدين، وهو مدحه عليه السلام، وإظهار كثرة الذنوب مع طلب الإغاثم والشفاعة منه عليه الصلاة والسلام، والتوبة من الله تعالى.

وقد عرفه زكي مبارك المديح النبوي بأنه: "فن من فنون الشعر أذاعها التصوف، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"8

نص القصيدة:

إن الدنا والدين من جدوكا ... لمَ لا وما خُلِقَ الوَرَى لولاكا

نور الوجودِ أبو الحقيقة سابق ... والأنبيا كلٌّ وراء وراكا

نادتكَ ظبيٌ تستغيث بِشِبْلها ... فأَجَبْتها بتلطُّف بِهُناكا

أنت الذي أسراك ربك ليلة ... دون الورى سبحان من أسراكا

أدناك معنٍ لا دُنُوَّ مكانةٍ ... ناجاك ليس الغيرُ ما ناجاكا

عن وصفك المدَّاحُ أجْمِعُ أعجزوا ... أن يبلغوا ما حق من معناكا

طه الأمين المُكَنَّا أحمد ... ومحمد ماح وتِيكَ سُمَاكا

يا من يرى من خلفه كأمامه ... والظل قد مُحِيَتْ بنور بَهَاكا

نبْعُ المياه براحتَيْكَ لَمُعجزٌ ... جاءتك أشجار تَبُوحُ هواكا

أصل لسر الكون نور سَنَاكَ إذ ... ما كان شيء كائنا لولاكا

كلَّمْتَ أحجارا وسبَّحَتِ الحصى ... في راحتيك إذ رميت عداكا

إيوانُ كِسرَى منك أسْفًا صدَّعَتْ ... فقدِ اخْمِدَتْ نار بنور سناكا

لك معجزات باهرات لم تكن ... في الأنبيا والرسل ليس تُحَاكا

كلٌّ من الرسل الكرام والأنبيا ... في الشرف والدرجات مَنْ شَرْوَاكا

وشكى البعير إليك خصما بينما ... فَقَضَيْتَ بينهما بها إذْ جَاكا

ثَلَّلْتَ أصنامًا وأَوْثَانا ألا ... إذْ قِيْلَ جاء الحقُّ مِنْ مؤلاكا

رَعْيًا وحِفْظًا بين قومِك في العِدَى ... طِفْلا يتيم ذُو العُلَى مولاكا

فلا أَنتَ لا أثرٌ لمشيك في الثرى ... وحراء قدْ مَاجَتْ به قدَمَاكا

صليت بالأملاك مع الأنبيا ... قد قدَّمَتْكَ واقتدتْ بوراكا

لَمَسِسْتَ ضِلْعَ الشاةَ دَرَّتْ حينها ... والذئبُ جاءك مُعْبِرٌ برضاكا

لك قامَةٌ وجهٌ جميلٌ رِبْعَةٌ أقنى أَزُجُّ وأَدْعَجٌ عيناكا
لعفوتَ قومك بعد ما ظهر الهدي عفو المقدِّر بَلْ ومَنْ آذاكا
راعت قلوب المشركين وجندهم أنباء دينك قبل ما وافاكا
بك قهقرت شمس قبيل غروبها فانشق قمر خِزْيَةً لعداكا
كنز الورى سر الحقيقة فاتقا رتق الخلائق ما بدت لولاكا
ولمستحيل في الوجود بِلا مِرَاً إيجادُ مثلك رغم أنف عداكا
أنت شفيت داءا معضلا وشفيت ذا مرض بطيب لماكا
ناديت ضبا حين رواد صائد فالضب قد لباك حين أتاكا
حجاب عين الذات بل مرآته للعارفين مَنْ بَقَوْا ببقاكا
رانت قلوب المشركين وصدأت وبما دعوتهم إلى مولاكا
أرجوك أن تصفو عليَّ في الهوى وبما أطعتُ أخاف يوم لقاكا
نال العلي والفضل كل الأنبيا والرسل والأملاك مِنْ عَلْيَاكا
ناداك أيوب بضر مسه فأزيل عنه الضر حين نداكا
شاة اليهود وحذرتك بسمها أكرم بها بالنطق بين عداكا
أوَلَسْتَ منْ أعاداك عادوا قد عمُوا من مكرهم يا ويحَهُم بجفاكا
ناظمتُ دُرًّا فيك عَلِّي في غدا ألَّا أُراني سواءِ لواكا
أن لم تكن يوم المعادي آخذا بيدي فضلا ليتني وعساكا
كن لي وشيخي مع فرعي ضامنا أصلي وأهلي حبتي بشفاكا
هَفَى ونارُ الشوق فِيَّ تَلَهَّبَتْ وإلى المدينة هيكلي تلقاكا
وإذا سمعت ففيك سمعي كله وإذا نظرتُ وما أرى إلاكا
إني فقير سائل متكفف في بابكم طمعا لنيل عطاكا
لي إعوجاج واتباع في الهوى وسماحة لي واهدني بهُداكا
أبدا صلاة الله ثم سلامه حقا عليك يحق من معناكا
بلى وآلِيْكَ الكرام وصحبة وزواجك التي التَّقَيْنَ حماكا
تمت بحمد الله ربك سيدي أرجو الرضى منك بها وعساك
رب المشارق والمغارب فاسألا ألاَّ يُخِيب رِجائِي بدعاكا

أفكار القصيدة:

فالشاعر الشيخ يحي ميكائيل نظم هذه القصيدة في المديح النبي عليه الصلاة والسلام، القصيدة المسماة بـ"مرتع روح العاشق في روضة فضل الصادق بمدح من فتق رتق الخلق به" وهي مطرزة على حروف سورة الكوثر. والمديح النبوي أحد أغراض الشعرية التي نشر في الأدب النيجيري، لأن الشعراء المديح النبوي يعتقدون من أنه من الدين، يثابون عليه، لمقام الممدوح عند الله، وعند المسلمين، لمعرفتهم أنه أفضل الخلق، والشعراء المديح النبوي يذكرون فيه، فضائل النبي عليه الصلاة والسلام، وحسن خلقه، وأخلاقه، وسيرته، من ولادته، والإرهاصات التي وقعت قبل وبعد ولادته، مكثه في مكة وعبادته في غار حراء، وكذلك رسالته، واستهزاء الكفار له، وما رده الله عليهم، ويذكرون شيئا من معجزاته كمعجزة القرآن الكريم، ونبع الماء من أصابعه، وتسبيح الأحجار في كفه، وكلامه مع بعض الحيوانات، وهجرته إلى المدينة المنورة، وجهاده الكفار، ثم إظهار عجزهم وتقصيرهم عند مدحه عليه الصلاة والسلام، وهذا الشاعر في هذه القصيدة لم يخرج من هذه الدائرة. إلا أنه ركز أفكاره في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

بدأ الشاعر قصيدته بمضمون القصيدة، وهو المديح النبوي، ولم يتوقف على الأطلال ولم يذكر الغزل، أو الحبيبة كما يفعله الشعراء، وهذا كثير ما هو عادة شعراء المديح النبوي حيث يفتتحون قصائدهم بالمقدمة السنية،9 واستعمل الشاعر الأسلوب المخاطبة والتوجيه للنبي عليع السلام في البيت الأول من القصيدة ليجتذب انتباه المتلقي، ففي البيت الأول والثاني يذكر الشاعر من أن وجود الدنيا والدين كله من جوده عليه السلام، والسبب في ذلك فالدنيا وما فيها من الخلق لو لاه لما وجودت، على حسب ظن الشاعر، والرسول عليه السلام هو نور الحقيقة لهذه المخلوقات به أنار الله قلوب عباده، وهوأفضل الرسل كلهم، وجميعهم وراء النبي عليه السلام، وكأن الشاعر يشير إلى ما يقع له من مقام محمود يوم القيامة.

وفي البيت الثالث إلى البيت الخامس ورد فيها ذكر بعض معجزات10النبي عليه الصلاة والسلام، حيث ذكر الشاعر إستغاثة الظبي به لأجل أشبالها، حينما أمسك بها صياد، وكذلك معجزة الإسراء والمعراج حيث أسري به إلى السماء السابع، ودنوه ربه ومناجاته له، ولم يفعل ذلك لأحد من الخلق سواه عليه الصلاة والسلام.

وفي البيت السادس والسابع ذكر الشاعر عجز الواصفين من الشعراء المديح النبوي عن وصف محمود حاله عليه السلام، وهو مكني بأحمد ومحمود ومحمد وماحي، وكلها صفات تشير إلى حسن خلق النبي عليه السلام، وقد خمدته الخلق في الدنيا لإنقاذ البشرية من ظلم الشرك، إلى نور التوحيد، ومن سوء الخلق إلى أحسنها، وكذلك هو محمود في عرصات يوم القيامة حين تعجز الأنبياء عن طلب الضفاء لإمتهم إلا نبينا محمد عليه السلام.

ومن البيت الثامن إلى الحادية عشر تحدث الشاعر عن بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم، منها أنه يرى خلفه كما يرى أمامه، ولا يظهر له الظل، لأنه نور بنفسه، ثم ذجر معجزة نبع الماء من بين كفيه عليه السلام، وإجابة الشجرة له حيمنا أمرها أن تأتي وتشهد على نبوته، ومنها معجزة تسبيح الأحجار في كفه، ورميه الكفار بكف واحد من الحصى، في غزوة فعميت أعينهم.

ومن البيت الثانية عشر إلى الرابعة عشر تحدث الشاعر عن بعض الإرهاصات11 التي وقعت يوم ولادته صلى الله عليه وسلم، من إخماد نار المجوس، وصدأ إيوان كسرى ملك الروم -قصره. وذكر عظم خَلْقِهِ ومن المستحيل أن يخلق مثل النبي عليه السلام في الخلق عظم مقامه عند الله.والنبي عليه السلام قد أعطاه الله من المعجزات ما لم يعطي لغيره من الأنبياء، وقد علا الأنبياء والرسل جميعهم في الشرف والدرجات وهم له تبع في ذلك -صلى الله عليه وسلم-.

ومن البيت الخامسة عشر إلى العشرين، عاد الشاعر إلى ذكر المعجزات، فذكر معجزة شكوى البعير له على صاحبه مما يعانيه من التعب وحمل الثقل من المتاع، فأصلح بينهما، ومنها إسقاطه الأصنام والأوثان وهو تاليا قوله تعالى: (وقد جاء الحق وزهق الباطن إن الباطن كان زهوقا)، وقد حفظه الله ورعاه بين أعدائه منذ أن كان طفلا صغيرا يتيما، وقد أخبر الله بذلك في قوله تعالى: (ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك عائلا فأغنى)، وعاد الشاعر إلى ذكر معجزاته ومنها لا يرى له أثرا إذا مشى على الثرى، ولكن ترى أثر قدمه إذا مشى على الأحجار أو الجبال، ومنها صلاته للأنبياء إماما لهم، وكذلك لمسه ضلع الشاة فدر ضرعها، وكذلك شهادة الذئب على نبوته عليه السلام.

ومن البيت الواحد والعشرين إلى الرابع والعشرين ذكر حسن خلقِه وخُلُقِه صلى الله عليه وسلم حيث بأنه حميل الوجه، ووجهه مدور، وله طول القامة، وله عين واسع، ومن

حسن خُلُقِه وكرمه عفوه للذين آذوه من القريش قبل فتح مكة، فعفى عنهم حينما كان قادر عليهم، وله استطاعة للإنتقام منهم، ولكن عفى لكرمه، ولم ينتقم لنفسه قط، إلا إذا انتهكت حرمات الله.

وقد ألقى الله الخوف والرعب في قلوب أعدائه حينما سمعوا بدعوته عليه السلام. ومن معجزته قهقرت الشمس له بعد غروبها. ومن المستحيل على قدرة الله وإرادته عدم وجود من يساوي النبي عليه السلام في الخلق. وفي البيت السابع والعشرين إلى والسادس والثلاثين تحدث الشاعر عن معجزة شفائه صلى الله عليه وسلم للأمراض التي ليس لها دواء، كمثل من وُلد بالعمى أو الصم، وغير ذلك، وباقي الأمراض تشفى بلمسه المكان أو أن بدعائه عليه السلام. ومنها أنه عليه السلام نادى الضب بعد أن صاده الصياد بأن يشهد بنبوته، فشهد على ذلك. وذكر أسغاث بالنبي عليه السلام من أن يصفيه من أفرط فيه من اتباع هواه، ويكون يوم يلتقي بالنبي فهو صفي من الذنوب، وكل الأنبياء والرسل حتو الملائكة نالوا الفضل من فضله عليه السلام. حتى أن أيوب عليه السلام لما أصابه مرض لم يجد الشفاء إلا بعد أن نادى النبي عليه السلام. وهذا على حسب زعم الشاعر. وكذلك من معجزته عليه السلام إخبار كتف من الشاة بأنها مسمومة، حينما جعلت اليهودية سم عليه لتقتل النبي عليه السلام غيلة.

ومن البيت السابع والثلاثين إلى آخر القصيدة فجعله الشاعر للختام وذكر ما يذكره الشعراء المديح النبوي غالبا في ختام قصائدهم، من إظهار الضعف وطلب الشفاعة لهم ولعلمائهم، فالشاعر أظهر شوقه لزيارة ضريح النبي عليه السلام في المدينة المنورة، ونظم هذه الأبيات في مدح الرسول لتكون له عونا يوم القيامة، ومن شدة شوقه للبني عليه السلام إذا ذكر النبي عليه السلام عند الشاعر فإنه لا يسمع ولا يرى إلا النبي عليه السلام، وها هو واقف أما باب النبي متسائلا عن هديه عليه السلام، ويرجوا ذلك لشيوخه، وأهله، وكل فروعه، ثم صلى وسلم على النبي أزواجه وآله، وصحبه. ثم حمد الله على هذه النعمة.

القصيدة الثانية في الرثاء:

ومما يظهر دور الشاعر في هذا المجال، قصيدته في مرثية شيخه في الطريقة التجانية؛ الشيخ محمد غبريم الداغري الغروي، وهذا نص القصيدة:

دعني وحزني لائمي نشوان عمّا عراني أنه صِنْوانُ
أمر عظيم مُفْزِعٌ متحير وبلابل شتى كذاك أحزان
قد غاض بحر زاخرٌ متلاطم في قطرنا بل في الدنا ملآن
والعقد شتى فيه مع زُمَرّدٍ واللؤلؤ المكنون والمرجان
ما فات عنا منه شرب مياهه وهو الفرات وأنه سيلان
قد فاء عمر بالشهاب القابس وبه دهانا الوقت والأحيان
وقت الصباح زال زين المجلس بعْ عمره إذْ ذاك يا حرَّان
في عام شَسٍّ بعد ضة قدم مضى فحل الطريقة من له العرفان
لصباح يوم الأربعاء لسبعة في صفر عمَّنا الأشجان
وله تواليف كثيرات لقد ما في الجهاز قدْقدِي تبيان
هذه التواليف لبَصْبَصَ برقها شرقا وغربا ما رأتْ عُميان
جازاه كل الخير في الدارين يا ألله يا ألله يا رحمان
لقد أنفق الأموال آس لمرمل ربَّي ألوفَ الناس يا نشوانُ
ذابت قلوب المؤمنين بلهفه عزَّ أصطِبارٌ ثارتِ الأحزانُ
طاشتْ قلوبٌ عن صدورٍ دهشةً إذْ قلَّ ركنُ الصبر والهِذْيانُ
من فقد زين العارفين وفخرهم فلنبك يا شيب يا شبانُ
خسرت غرو والله من ضرغامها بل تيئمت قطر كذا بلدانُ
هَذِي الرَّزِيةُ فَاجَأَتْنَا بغتة هامَتْ أُلوفُ الناسِ ذا إعلانُ
يومًا تَثُجُّ العينُ دمْعًا أجْفَلَى وَاهٍ أجِيبُوا لِي البُكَآ إخْوَانُ
يَوْمِي كلَيْلٍ ظُلْمةً منْ فقْدِه ليلي كيَوْمِيَ إنَّنِي سَهرانُ
لوفاة قرْمٍ صِنْدِدٍ فهَّامةٍ حامٍ لبيَضِ طريقةٍ حَصَّانُ
والموتُ يختارُ الكرامَ مِنَ الورى لَهُمُ به حتْماً وذا ميدانُ
ما هذه الدنيا وما فيها لنا إلا كنومٍ نِمْتَ يا نَوْمَانُ
ولنَقْتَفِي آثارَهُ في سعْيه إنْ لمْ نَكُن أمثالَهُ إخْوانُ
يا آخذا بعُرَاهُ تلك نَجَاحُهُ دُنْياً وأُخْرَى ما تراهُ يُهانُ
يا ربِّ يا أللهُ نَوِّرْ قبرَهُ واستُرْهُ كلَّ السِّتْرِ يا رحمانُ

وسِّعْ بِمَضْجِعِهِ بجاه المصطفى وبأوليـاء الله يا ديَّانُ
وإمامِهِمْ أعني به غوثَ الورى وممدِّهمْ قُطْبُ الورى حَسَّانُ
شمسُ الزَّمانِ وسعدُهُ وملاذُهُ شيخُ الشيوخ عليهم رضوانُ
وبحرمة الأوتادِ والنُّجَبَا أجِبْ والأَصْفيَا لِلَّهِ هُمْ خُلْصَانُ
وبحرمة النُّقَبَاءِ والأبدالِ يا أَللهُ يا أَللهُ يا رَحْمانُ
وبِحُرْمَةِ الأخيارِ والأبرارِ يا ربَّ السَّما والأرضِ يا حَنَّانُ
إزدحمت الأحزاب منه تبركا قدْ عزَّ مَسْكُ النَّعْشِ واطْمِئْنَانُ
وشوارعاً غاصتْ أُلوفُ جماعةٍ كيف القضا إيهِ ولا نُكْرَانُ
شِمْنا كراماتٍ غرائبَ حِسَّةٍ أُلْطِفْ عليه لطائفا مَنَّانُ
فمضى ويَبْقَى خَيرُهُ أبداً لنا جَازَاهُ خيرا كُنْ لَّهُ ديَّانُ
قلْ ما تَشاءُ أيا أخي في أَمْرِهِ منْ حُسْنِ ظنّ الخيرِ يا حَرَّانُ
قلْ ما تراهُ في مرور جماعةٍ لزيارةٍ في قبرِهِ الإتْيَانُ
هو عالمٌ علاَّمةٌ مُتَفَنِّنٌ مَنْ سَنَدُهُ الأثارُ والقُرْآنُ
إنْ قال إمَّا في كتابِ اللهِ أوْ قولِ النبي مَنْ فقْدُهُ خُسْرَانُ
مَهْمَا أَقُولُ لشيخنا مدحاً لهُ ليلِيقُ ذاك القولُ لا بُهتانُ
ضمَّتْ جنازتُهُ جُمُوْعا جمةً والكلُّ سَيْلُ دُمُوعَهُ هَطْلانُ
هو سيِّدٌ في كلِّ أمرٍ جُمْلةً مَيراتُهُ وسَخاؤُهُ تَهْتَانُ
خلَّفْتَ آثارا حميدا شيخنا وعن التَّحَصُّرِ كلَّتِ الأذْهان
وفَككْتَ أغلالَ الهدايةِ فكَّةً وحمَيْتَهَا عَنْ ماردٍ شيطانُ
أنتَ الذي سابقْتَ أرْبابَ السُّر المُدْلَجِين بِسَيرهمْ إيْقَانُ
وحلَيْتَ بالحُلَلِ الثَّمينِ عنِ الشِّرى عَمِيَتْ به الحُسَّادُ والشَّنْآنُ
وقَصَدْتَ رَبَّكَ ذا العُلى والكبريا في الوعظ والإرشاد ما إيْهَانُ
أنتَ الفرِيدُ بِلاَ نزا في قُطْرِنا والشمس بادِيةِ السَّنا رمْدَانُ
فَكسَوْتَ ثوبَ حقيقةِ بشريعةٍ لا العَكْسَ بَلْهَ وإنَّهُ عُرْيانُ
ولغارتِ الأجْفَانُ وانْطَوَتِ الحَشَى من فقْدِهِ قدْ عمَّنا الخُسْرانُ
بَكتِ الجماداتُ بُكاءً معْنَوِي لفقيدنا غبريم والحيوَانُ

إنَّا نُعَزّيكمْ عشيرةَ شيخنا غبريم كنز السِّرِّ يا إخْوانُ
بارِكْ أيا ألله كلَّ فُرُوعِهِ رزقاً وعلماً نافعا منَّانُ
يا شيخنا غبريم جازك ربُّنا خير الجزا آمين يا ديَّانُ
يا تِيْكَ في الفردَوْسِ كلُّ نعيمه رَوْحٌ كذا الرَّيْحانُ والولِدَانُ
وتجاوِرًا بنبيِّنا وشفيعنا مَن كُوِّنَتْ مِن نوره الأكوانُ
ورفيقه في سفره صدِّيقه مَنْ بُغْضُهُ الخُسْرَانُ والخِذْلانُ
وبمَنْ أعز به الإله لديننا الفاروقِ ليْثٍ مَن لَّهُ الإحسانُ
وبخِلّهِ عثمانُ ذي النورين مَنْ أسْدَى الأيادِي دَأْبُهُ العرفانُ
وغَشَمْشَمٍ صِنْوِ النبيِّ وصِهْرِهِ حُبِّي عَلِيًّا حُبُّهُ إيمانُ
وبأهلِ أُحدٍ والبقيعِ جَمِيعِهِمْ أَنْ لا تُرَدَّ بدعوتي رَحْمَانُ
هو حاملٌ سرَّ الطريقةِ فحْلُها مَنْ قال لا لا قولُهُ طُغْيانُ
ورثَ النبيِ بدعوةٍ في دينه قولاً وفِعْلاً حبَّذَا الإنسانُ
لاتُلْهَ بالحساد فيما عَوَّقوُا الناسَ لِحُبِّ رِياسَةٍ فِتْيانُ
ولَتَسْمَعُوا قَوْلي سماعَ تَقَبُّلٍ فرأى الرسولَ بِيَقظةٍ إخوانُ
قدْ عَزَّ دَهْرا أنْ يُعِيدَ بِمِثْلِهِ هَيْهَاتَ أين الدَّهرُ والأزمانُ
وهو التَّقِيُّ مُبَجَّلاً في قومه طوعا وكرها إنَّ ذا تِبْيَانُ
كمْ كُوْشِفَتْ عَنْهُ الحقائِقُ دِفْعَةً جَبَّ الفَدَافِدَ أَمْرُهُ رِجْحَانُ
لله أمرُ الشيخِ جَلَّ تَحَصُّرا فيما حَبَاهُ إلَهُنا المَنَّانُ
تَبْكي أرَاضِ المسلمين وأهْلُهَا من حَيْثُ كانوا في الدُّنا جِيرَانُ
تبكي زوايا المُنْتَمِين لحزبه حِسًّا ومَعْنًا ذاك ما إن وَّانُ
تأتي وفُودٌ مِنْ قُرَى الأشْتَاتِ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ زِيارةً أخدَانُ
وترى أُناسًا ساكتين كآبةً وندامةً وتَرَحُّماً صِنْوَانُ
صبْرا جميلا سادتي وأحبَّتي قدْ مَسَّنا البَلبَالُ والنُّقْصانُ
إنَّا مِنَ الله العظيم بأجْمَعٍ وإليه مَرْجَعُنا اسْمَعِي آذانُ
إني أُعزّيكُمْ كِبارَ أبَّـهتِي الحاضرين ومَنْ نَأَوْا سُكَّانُ
كالماهر الهُمَّامِ مَنْ هو خِلُّهُ وإمامُ جامِعِنا هُمُ القرَّانُ

والوازعي شيخي مُرَبِّي مَشْرَبِي مَنْ قَدَّ قَلْبِي حُبُّهُ عُثمانُ
لا تنس ضرغاما زميلا جِهْبِذِي أَعْنِي شَرِفْ طاهرْ له التِّبْيَانُ
إنّي أُعَزِّيكمْ جميع الأوليا لوفاة ذاك الشيخِ يا خُلْصَانُ
أَحْرَى أَبا إسْحَاقَ كامل دَهْرِنَا مَنْ حادَ عنْهُ عَلَّهُ مذْعَانُ
يا صَاحِ لا تَحْسُدْ ولا تَبْغُضْ وإذْ الأَمْرُ أَمْرُ اللهِ يا طعَّانُ
فَوَّضْت أَمْرِيَ كلَّهُ للخالق وبه لأَمْرِكَ فاسْتَعِنْ إنسانُ
لا نَرْضَ بالبغْضاءِ فيهِ أُخُوَّةٌ في الدِّين أَوْ بطريقةٍ إخْوَانُ
اللهَ أسألُ أنْ يُقَوِّيَ بَيْنَنَا بالإتفاق لأمرنا الرَّحْمانُ
ونَكُنْ عبادَ اللهِ شِبْحاً واحدا فَيَخَافُنا أعْدَئُنا الكُهَّانُ
لا نَخْتَشِي مكْرَ العَدُوِّ وشرَّهُ ولَحَسْبُنا اللهُ العَلي المَنَّانُ
يا رب وفقنا لرأي واحدٍ لنُوَاجِهَ الأعْداءَ لا نُكْرَانُ
هبنا العلومَ أَرَبَّنَا وارْزُقْ لنا رزقا حلالا واسعا مَنَّانُ
يسرْ مطالبنا بجاه المصطفى سهِّل وُعُورَ الأمر يا دَيَّانُ
يا ربَّنا اسْتُرْنا جميعَ عيُوبِنا بالمُجْتَبَى وبآلِهِ غُرَّانُ
واجعل لنا إخْلاصَ عمَلٍ صالحٍ مُتَقَبّلا فضْلا أيا رحْمَانُ
واجعل عُبَيدَكَ شرْيَةٌ سِيَرَاتُه[5] مَسْتُورَ حُوبٍ لا تَرَوْهُ رُوَانُ
لا تَفْضَحَنِّي في هُنا بين الورى بالمُصْطفَى خَيْرَ الورى حَنَّانُ
لا تُخْزِيَنِّي في هُنَا لِكَ ربَّنا يَوْمَ التغابُنِ والنِّزا منانُ
صلِّ على الهَادِي البَشِيرِ وسِلِّمْ والآل والأصحاب يا رحمانُ
أبياتُها حَفٌّ تَمَامًا كمَّلَتْ لا زائدٌ فيها ولا نُقْصَانُ

أفكار القصيدة:

وهذه القصيدة نظمها الشاعر الشيخ يحي ميكائيل في رثاء الشيخ محمد غبريم بن محمد غانم، والشيخ غبريم من أكبر علماء طريقة التجانية في غرب إفريقية، توفي الشيخ في مدينة أنغرو ولاية يوبي، عام 1975م[6] وموضوع القصيدة لم يخرج من عناصر الرثاء الثلاثة: الندب والتأبين والعزاء.

ندب الشاعر شيخه، حيث ينوح وينعى موته ويبين للناس قدر ما أصابه من اللوعة الشديدة بكلمات جذابة. وقد رسم الشاعر كيفية عظم المصيبة حيث يذكر من أن القلوب طاشت وذابت عن محلها، وصور القلوب على صورة الحديد، ثم أظهر الشاعر عجزه عن الصبر، وكل ذلك ليفخم عظم مصيبة وفات الشيخ في أعين أهل مدينة أنغرو خاصة، والعالم بأكمله. ولم يكتفي الشاعر ببكائه هو وحده بل دعا الناس إلى مشاركته فيه، ولم يكتفي البكاء على البشرية بل تطرق إلى الجمادات والحيوانات والأرض وزوايا العلماء، وتجسيم شيء مِن الجمادات على أنّه حي من أروع فنون الأدبي، ويسمى التجسيم أو التجسيد، صوَّر الشاعر بلدة أنغرو على صورة الانسان المفكر، وبأنها خسرت بل (تيئمت)، حيث اجتماعت النساء فيها يبكين لوفاة شيخه.

وأما التأبين في القصيدة؛ فيَبِين الشاعر بفضائل شيخه وكرمه، وذكر أن للشيخ مؤلفات كثيرة في شتى الفنون العلمية ولا يستطيع ذكرها لكثرتها، وقد انتشرت ونورت آفاق الدنيا شرقا وغربا، ولم يقتصر فضله وكرمه على نشر العلم فقط، بل فالشيخ ينفق أمواله الطائلة في كفالة الأيتام والأرامل والمساكين، وهذا حال هو الكرماء. ويشير أيضا إلى أن الشيخ وإن تُوفي وغاب عن ظهر الأرض، فإن آثاره وخيره يبقى إلى الأبد، إذًا لم يمت الشيخ، ومن علوم الشيخ علوم القرآن الكريم وتفسيره، والآحاديث النبوية. وإذا تكلم فقوله إما في القرآن أو أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم قدم الشاعر عزائه لأهل الشيخ وطلابه وأهل طريقة التجانية، وخاصة أهل الفيضة، على صيغة التي يقدمه القدامى في مراثيهم، يُصبِّر نفسه على هذه المصيبة ويَتذكر سنة الحياة من موت الصالحين، ولكن ليس بغريب لأن الحياة كلها لم تشبه النوم والإستيقاذ منه. ثم بدأ الشاعر يُصَبِّر أحبائه من زملائه وعلمائه.

القصيدة من حيث المضون والشكل:

المطلع: لم يبدأ القصيدتين بالنسيب أو الطلال أو الغزل بل مباشرة بدئهما بمضمونيمها، وهو المديح النبوي والرثاء.

التخلص: لا يوجد التخلص في القصيدتين، لأنه افتتح قصيدته بالغرض الأساسي من البيت الأول حتى آخر القصيدة، ولم يقف على الأطلال والغزل والنسيب كما تفعله العرب القدامى غالبا في أشعارها. فافتتح الأولى بالمدح، والثانية بالتفجع وإظهار التحسر واللوعة.

الخاتمة: اختتم القصيدتين بالثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وبذكر عدد أبيات في القصيدة الثانية، بحساب الجمل،[7] فقال:

صلِّ على الهَادِي البَشِيرِ وسلِّمْ والآل والأصحاب يا رحمانُ
أبياتُها (حَفٌّ) تَمَامًا كمَّلَتْ لا زائدٌ فيها ولا نُقْصَانُ

العاطفة: وللعاطفة أثر في الصور والخيال لأن الصفات الجديدة من صنع الخيال، والخيال لا ينشط لتصور الأشياء بدون عاطفة، ولا تبعتث في النفوس، إقرأ قول شاعرنا يحي ميكائيل تشعر بأن عاطفته أثرت في خياله، حيث يقول في مرثية الشيخ محمد الغبريم:

ذابتْ قلوبُ المؤمين بلَهْفِهِ عزَّ اصْطِبارٌ ثارتِ الأحْزانُ
طاشَتْ قُلُوبٌ عنْ صدورٍ دَهْشَةً إذْ قلَّ ركنُ الصَّبْرِ والهِذْيَانُ
مِنْ فقْدِ زَينِ العَارِفِينَ وفخْرِهِمْ فلَنَبْكِ يا شِيبُ أيا شُبَّانُ
خَسِرَتْ غُرُو واللهِ منْ ضِرْغامِها بَلْ تَيْئَمَتْ قُطْرٌ كذا بُلْدانُ

أنظر كلمة (ذابت) (طاشت) وانتسابها إلى شيء لطيف - قلب - وهو لحم بدون عظم ولكن صوره الشاعر على صورة الحديد أو الحجر، وكيف صور في خياله أن مدينة إنغروا قامت بجمع النساء لإقامة المأتم لموت شيخه. وهذا يظهر أثر العاطفة في الكلمات حيث تجعل الشاعر استخدام كلمات خاصة لتعبر عنها، فيما سبق ذكره يكفي مثالا كيف استخدم الشاعر كلمات تظهر لوعته وشدة مصيبته.

وللعاطفة أثر في الموسيقى الخارجية، لأن اختيار التفعيلات المناسبة تجعل عاطفة الشاعر أن تأثر على المسامع، وكذلك روي القافية، والشاعر بنى قصيدتين على البحر الكامل لما له من تفعيلات تناسب أبيات الرثاء إقرأ التفعيلات الآتية بالصوت عال تشعر الشدة والقوة تعلو القلب لدلالة أنك بالحزن واللوعة لفقد شيء مهم:

مُتْفاعلن\ مُتْفاعلن \مُتْفاعلن مُتْفاعلن\مُتْفاعلن \ فِعْلاتُنْ

ولم يكتفي أثر العاطفة في الوزن فحسب، حتى في اختيار القافية حيث جعلها (الطكاف) في الأولى و(النون) في الثانية، والنون لها غنة كصوت البكاء. وكذلك استعمال الشاعر حرف (النون) في بيت واحد، ولم يكتفي بجعلها روي القصيدة فقط، بل كررها في البيت أكثر من سبعة مرة.

الخاتمة:

والشاعر الشيخ يحي ميكائيل قد بذل أقصى جهده في نظم الشعر العربي النيجيري، ومما استنتجه الباحثان:

-يظهر للمتلقي أن علماء الدين في نيجيريا ساهموا في تطور الأدب العربي.

-أن شعره في فن الرثاء أقوى من المديح.

-والشاعر تأثر بمن سبقوه من العلماء في قرض الشعر

- وكذلك تأثر بشيوخه المتصوفين ، لكثرة استعماله ألفاظ ذات الطابق الصوفي.

الهوامش والمصادر:

1-مقابلة شخصية مع طالبه معلم عبد الله يحيى في مسجده بنيناو، أنغروا ولية يوبي يوم الخميس 1442/9/23هـ

2-مقابلة شخصية مع ابنه مجيب يحي ميكائيل، يوم الاثنين 1442/9/28هـ

3-القاموس المحيط، مادة: مدح

4-لسان العرب، مادة : مدح

5-مجمع اللغة العربية ، ص، 857

6-شرية منه شري البرق إذا تتابع لمعانه انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ومن معناها ملأ الشيء يقال أشريت الجفنة أي ملأتها انظر: الصحاح في اللغة.

هو الشيخ المرحوم العالم محمد غبريم بن محمد غَانِم بن علي بن إبراهيم بن محمد عمر الدَّاغِرِي، ووالدته الشريفة فاطمة بنت عبد الرحمن، وهو سيد من سادات قومه. ولد عام 1902م، في بلدة تسمى غرازو، (دمَغَرَنْ) جمهورية النيجر، تعلم القرآن الكريم، والعلوم الدينية على يد أبيه، وعمه نَاذُو، والشيخ محمد البَرْكَوِي، أبَّهْ (ثُلُمْ) -الأَسْوَد، ترك الشيخ آثارا جمة من المؤلفات، بين المخطوطات والمطبوعات وبين المنظوم والمنثور، والشروح والتلخيص، ومن أشهرها: جهاز السارح في الصلاة على الرسول ﷺ، مطبوع. والقصيدة المؤنثات السماعية، وقصيدة سعد السعود، منظومة في مدح الرسولﷺ، انظر: مقابلة شخصية مع ابنه السيد المنير محمد غبريم، يوم الخميس 2018/05/10م

7- زكي مبارك محمد، **المدائح النبوية**، مكتبة الشرق الجديد- دمشق، ط 2، سنة، 1996م)، ص: 16

8- أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (ج2، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط1 سنة 2007م)، ص، 251- 252

9- معنى المقدمة السني: وهي التي تمتاز بالحمد لله تبارك وتعالى والثناء على النبي عليه السلام. أنظر: محمد الحاج ميدغوا، (الدكتور) **البناء الفني في شعر الغنيمي البرناوي، دراسة أدبية تحليلية لنماذج مختارة،** مجلة أَدَّدْ، للغة العربية، والأدب والثقافة، جامعة ولاية نصروا، كفِّ، العدد 3، الرقم الأول، عام 2014م

10- معنى المعجزة: فالمعجزة: هي أمر خارق للعادة يؤيد به الله (ﷻ) أنبياءه بإجرائها على أيديهم، وتكون مخالفاً لطبيعة الكون وسنن الحياة التي اعتاد عليها النّاس.

11- معنى الأرهاصات: هو الأمر الخارق للعادة ظهر للنبي عليه السلام قبيل أو عند ولادته، أو قبل بعثته.

12- أسلوب يستعمله الشاعر لإخفاء معنى الشيء عن الناس، والتستر بستار الرمز الذي لا يفهمه إلا العارفين لهذا الفن، انظر الموقع الإلكتروني:www.mekshat.com/vb/t-47771

13- سيد قطب **النقد الأدبي ومناهجه،** (القاهرة: دار الشروق، سنة 1966م) ص،38

14- القيرواني، ابن رشيق. **العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده،** ط5، دار الجيل، بيروت، ص، 124

15- المتبولي شيخ كبر، **المدائح النبوية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر، دراسة تحليلية لقصيدته "الماء المكسوب..."**بحث قدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، لنيل شهادة الماجستير، عام 2002م. ص، 116

16- كامل المهندس، ومحمد وهبة، **معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب،** (لبنان، ط/2، ستة: 1980م ،) ص، 227